

مراجعة علمية لكتاب:

فقه الهندسة المالية الإسلامية: دراسة تأصيلية تطبيقية

تأليف: مرضي مشوح العنزي، الرياض: دار كنوز إشبيليا، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م، ٤٧١ صفحة

مراجعة: عبدالرزاق سعيد بلعباس

باحث بمعهد الاقتصاد الإسلامي، جامعة الملك عبدالعزيز - جدة - المملكة العربية السعودية

المستخلص: تُعدُّ الهندسة الماليّة من الموضوعات الساخنة التي تجلب اهتمام الباحثين في التمويل الإسلامي. في هذا الإطار أعدَّ مرضي العنزي أطروحة دكتوراه بجامعة القصيم لتأصيل الموضوع بناء على بعض المنتجات المتداولة في الصناعة المالية الإسلامية. وتلخص المراجعة العلمية إلى نتائج عدّة، من أبرزها: الوعي بعدم حيادية الوسائل، وضبط مصطلح الابتكار، وتجاوز النظرة النخبوية التي ترى أن الحلول المالية هي من اختصاص المهندسين الماليين. وتوصي المراجعة العلمية بضرورة إعداد دراستين مسحيتين: تتناول أولاهما مستجدات البحث العلمي في الهندسة المالية في ضوء الأزمة المالية العالمية، والثانية الكتابات عن الهندسة المالية الإسلامية باللغتين الإنجليزية والفرنسية.

الكلمات المفتاحية: التمويل الإسلامي، الهندسة المالية، الابتكار.

تصنيف مجلة الأدبيات الاقتصادية: K12, O31, Y3, Z12

الإسلامية: ضوابطها الشرعية وأسسها الاقتصادية" من إعداد شيرين محمد أبو قعنونة نوقشت في جامعة العلوم الإسلامية العالمية بعمان في عام ٢٠١٤م، و"الهندسة المالية الإسلامية: تحقيق ناقد لعملية تطوير المنتجات في الصناعة المالية الإسلامية" من إعداد شاهر عباس

أصل الكتاب رسالة دكتوراه تخصص فقه مقارن تقدّم بها مرضي بن مشوح العنزي إلى قسم الفقه في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة القصيم بإشراف عبدالله بن محمد السكاكر. وتزامن معها رسائل دكتوراه أخرى عن الموضوع ذاته، من بينها: "الهندسة المالية

الفصل الثاني: يتناول المستندات الشرعية للهندسة المالية الإسلامية، وفيه أربعة مباحث: المستندات الشرعية للهندسة المالية الإسلامية من السنة النبوية، ومن اجتهادات الصحابة، ومن مقاصد الشريعة، ومن القواعد الفقهية. فمن المستندات الشرعية من السنة النبوية التي قررها المؤلف السَّلْم، ومن اجتهادات الصحابة رضي الله عنهم الصكوك إلى العطاء، ومن المقاصد الشرعية تحقيق مصالح الناس ورفع الحرج عنهم، ومن القواعد الفقهية الأصل في العقود الصحة والأصل في الشروط الصحة واللزوم إلا ما دلّ الدليل على منعه (ص ٤٩-١١٦).

الفصل الثالث عن أدوات الهندسة المالية الإسلامية، وفيه ستة مباحث: الحيل والمخارج، والرخص الشرعية، والاستحسان، وسد الذرائع وفتحها، والتلفيق وتركيب العقود: فبيع المرابحة للأمر بالشراء عقد مركب من وعد بالشراء من العميل، ووعد من المصرف بالبيع بطريق المرابحة مع الالتزام بالوعد، والإجارة المنتهية بالتملك عقد مركب اجتمع فيه عقد إجارة وعقد بيع معلق بسداد الثمن (ص ١١٧-٢١٠).

الفصل الرابع عن ضوابط الهندسة المالية الإسلامية، وفيه مبحثان: الضوابط الخاصة بالمهندس المالي، والضوابط الخاصة بالهندسة المالية الإسلامية. أما الضوابط الخاصة بالمهندس المالي، فهي: الخبرة بالعمل المصرفي، والشؤون المصرفية، والعلم بالسوق وحاجاته. وأما الضوابط الخاصة بالهندسة المالية الإسلامية فهي: عدم المخالفة للشرع والسلامة من العيوب الشكلية للعقود. ومن المخالفات الشرعية: مخالفة

نوقشت في جامعة درم ببريطانيا في عام ٢٠١٥م (Abbas, 2015)، و"استخدام الهندسة المالية الإسلامية كأداة لتقويم إدارة مخاطر التمويل" من إعداد جميل ثاجب يوسف نوقشت في جامعة بغداد عام ٢٠١٦م.

يتكون الكتاب من مقدمة، وتمهيد، وبابين، وخاتمة، وقائمة المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

تضمنت المقدمة: مشكلة البحث المتمثلة في الأسئلة التالية: ما مفهوم الهندسة المالية الإسلامية؟ ما الحاجة إليها، وما الذي ستقدمه؟ وما مدى شرعيتها؟ وما هي أدواتها؟ وما هي ضوابطها؟ وما مدى موافقة تطبيقات المصارف الإسلامية في هذا المجال للضوابط الشرعية؟ كما تتضمن أهمية البحث من حيث بيان مقدرة الهندسة المالية الإسلامية في تطوير وابتكار منتجات لما تواجهه صناعة التمويل الإسلامي من مخاطر مع مراعاة الضوابط الشرعية، وأسباب اختياره، وأهدافه، وأدبياته، ومنهجه، وإجراءاته، وخطته، وتمهيد عن أهمية الاقتصاد الإسلامي ودوره في الحياة المعاصرة (ص ٧-٢٤).

يتناول **الباب الأول** تأصيل الهندسة المالية الإسلامية، وفيه أربعة فصول:

الفصل الأول عن مفهوم الهندسة المالية والخصائص والفروق، وفيه ستة مباحث: تعريف الهندسة المالية الإسلامية، نشأة المصطلح في الأدبيات التقليدية، وأهمية الهندسة المالية الإسلامية وأهدافها، وخصائصها، ومعوقات تطبيقها، والفروق بينها وبين نظيرتها التقليدية التي سوف يتم مناقشتها لاحقاً (ص ٧-٤٨).

بينما عدّ التورق المنظم أو المصرفي من الهندسة غير الإسلامية (ص ٣٢٣-٣٩٦).

بذل المؤلف جهدًا كبيرًا في الكتاب من حيث تأصيل صناعة تصميم وتطوير المنتجات المالية الإسلامية، وهو من أفضل ما وقفت عليه حتى الآن في هذا المجال، وتميّز الكتاب بدقة التعبير، وسلاسة العبارة، وإيجاز القول، وحس النقد، والفكر المستقل، لاسيما في مناقشته لمسائل الحيل والمخارج الشرعية (١١٩-١٥٢)، والتلفيق (١٨٤-٢٠١)، وتركيب العقود (٢٠٣-٢٠٩)، وموضوع الغرر الذي يجد الباحثون في التمويل الإسلامي صعوبة في تحديد ماهيته والوقوف على حقيقته (ص ٢٢٠-٢٤٢).

وعلى ما في الكتاب من قيمة جليلة من الناحية التأصيلية بحكم الخلفية الشرعية للمؤلف، فهو لا يخلو من ثغرات بالنظر إلى تطورات البحث العلمي في العلوم الاجتماعية. وهو ما يؤكد ضرورة الإشراف المتعدد التخصصات على أطروحات الدكتوراه لتحسين مدخلاتها وتجويد مخرجاتها. لذلك ارتأيت في هذا العرض التنبيه على بعض المسائل لكي يكون نفع الكتاب أكمل وفائدته أشمل، وهي:

تعديل عنوان الكتاب

حبذا لو يُعدّل عنوان الكتاب إلى: تصميم وتطوير المنتجات المالية الإسلامية: دراسة تأصيلية تطبيقية، نظراً للاعتبارات التالية:

- على الرغم من أنّ الهندسة المالية باتت بضاعة كاسدة في المجتمعات الغربية بعد الأزمة المالية العالمية

النص، أو التحايل أو التذرع للتوصل للحرام، أو منافاة الحكمة التي حرمت لأجلها بعض العقود. ولسلامتها من العيوب الشكلية للعقود ينبغي ألاّ تجمع بين العقود المتناقضة، وألا تكون مجرد تغيير في التكييف الفقهي للمعاملات المحرمة، وألا تكون مجرد قيود شكلية (ص ٢١١-٢٦٤).

ويتناول **الباب الثاني** تطبيقات الهندسة المالية الإسلامية، وفيه فصلان:

الفصل الأول: عن تطبيقات الهندسة المالية الإسلامية في الفقه الإسلامي، وهي: بيع الوفاء، وبيع الاستجرار، وبيع العينة، والسفجة، والتورق، والإجارة الموصوفة في الذمة. واعتبر المؤلف بيع الاستجرار والسفجة والتورق البسيط غير المنظم من الهندسة المالية الإسلامية، بينما اعتبر بيع الوفاء وبيع العينة من الهندسة المالية غير الإسلامية (ص ٢٦٩-٣٢٢).

الفصل الثاني: عن بعض تطبيقات الهندسة المالية الإسلامية المعاصرة، وهي السلم الموازي، والاستصناع الموازي، والصكوك الإسلامية، والتورق المصرفي، وبيع المربحة للأمر بالشراء، والإجارة المنتهية بالتملك، والمشاركة المنتهية بالتملك، وبطاقات الائتمان. واعتبر المؤلف السلم الموازي والإجارة الموصوفة بالذمة والاستصناع الموازي والصكوك الإسلامية وبيع المربحة للأمر بالشراء إذا كان الوعد غير ملزم، والإجارة المنتهية بالتملك، والمشاركة المنتهية بالتملك، وبطاقات الائتمانية المغطاة وغير المغطاة التي حذف منها شرط الزيادة الربوية من الهندسة المالية الإسلامية،

تقييد أدبيات الدراسة بلغة القراءة المعتمد عليها

ذكر المؤلف أنّ من الأسباب التي دعت به إلى الكتابة في الهندسة المالية الإسلامية هي الحاجة للبحث فيها مع قلّة الكتابة عنها (ص ٨). ينبغي تقييد هذا الكلام بأدبيات اللّغة العربية. فإذا وسعنا نطاق الكتابات عن الموضوع إلى الأدبيات الإنجليزية والفرنسية، سوف يتضح أن عددها ليس بالقليل. والملاحظة نفسها تنطبق على أدبيات البحث والدراسات السابقة التي تطرق إليها المؤلف (ص ٩-١٤). فنجد على سبيل المثال باللغة الإنجليزية مقالة علمية لمحمد عبيد الله عن الهندسة المالية والخيارات الإسلامية (Ubaiddullah, 1998)، وأخرى لزمير إقبال عن الهندسة المالية في التمويل الإسلامي (Iqbal, 1999).

إضافة مبحث عن المعاملات المالية في شبه الجزيرة العربية قبل مجيء الإسلام

حبذا لو أضاف المؤلف في الفصل الأول مبحثاً عن تعامل العرب في الجاهلية بأشكال مختلفة من المعاملات المالية، وإقرار الإسلام لبعض العقود، وإلغاء بعضها الآخر لما تشتمل عليه من الربا والغرر والمقامرة وأكل أموال الناس بالباطل. والغرض من هذا المبحث هو بيان أنّ المجتمعات هي التي تبتكر الحلول المالية التي تتناسب مع احتياجاتها بعيداً عن القراءة النخبوية التي تُقرّر أنّ الحلول يجب أن تأتي من قبل مجموعة منتقاة من "المهندسين الماليين". بل ذهب بعضهم إلى أبعد من ذلك حين قال إنّ الفقهاء يقومون بجهود جبارة في البحث عن أدوات جديدة ومبتكرة (الأكاديمية العالمية للبحوث الشرعية، ٢٠١١م: ١١٢).

الأخيرة (Reinhart and Rogoff, 2010: 221)، لا يزال فريق من المهتمين بالتمويل الإسلامي يشيدون بها (Askari et al., 2010: 166). ومن الغريب أن يُصرّح هؤلاء في الوقت نفسه أنّ التمويل الإسلامي يشكّل حلاًّ للأزمة المالية العالمية، وهو تناقض لا يستقيم مع التحليل الرصين الذي يواكب تطورات البحث العلمي.

• من الأخطاء التي وقعت فيها أدبيات الهندسة المالية الإسلامية افتراضها لحياضية الوسائل. وهي وضعية معرفية يصعب مسانبتها والدفاع عنها في ظلّ تطورات فلسفة العلوم، وعلم اجتماع المعرفة، وتاريخ التقنية التي توصلت إلى عدم حياضية الوسائل (Jarrige, 2015; 2014)، لاسيما بعد اتساع رقعة مستخدمي الذكاء الاصطناعي. مما أدى إلى ظهور كتابات عن أخلاقيات العالم الرقمي. ومن المهم بمكان أن تواكب برامج التمويل الإسلامي هذه التطورات حتى يتعامل خريجوها مع الوسائل وفق منهجية علمية مؤصلة بعيداً عن الطرح الإنشائي والخطاب العاطفي.

• من الأخطاء التي وقعت فيها أيضاً هذه الأدبيات القول أنّ مصطلح الهندسة المالية حديث نسبياً من حيث الاصطلاح، وقديم من حيث التعامل قدم التعاملات المالية. ممّا جرّ المؤلف إلى الحديث عن المستندات الشرعية للهندسة المالية الإسلامية من السنة النبوية، واجتهادات الصحابة، ومقاصد الشريعة، والقواعد الفقهية (ص ٥١-١٤١). هذه المفارقة التاريخية المتمثلة في نسبة مصطلح معاصر إلى تاريخ قديم لم يُقدّم عليها من أرخ للهندسة المالية التقليدية (Beder, 2011: 3-28).

بما أنّ مصطلح الهندسة المالية تمّ استيراده من الأدبيات التقليدية، فمن الضروري تسليط الضوء على أصل لفظ الهندسة في هذه الأدبيات إلى أبعد من قواميس اللّغة العربية كما فعل المؤلف (ص ٢٩). يُعرّف قاموس الأكاديمية الفرنسية لعام ١٨٣٢م المهندس بأنّه الشخص الذي يخترع ويرسم ويقود الأشغال والأعمال للتحصين والدفاع عن بعض الأماكن أو مهاجمة أماكن للعدو. وأُطلقت الهندسة على أشغال عامة أخرى مثل بناء وصيانة الطرق واستغلال المناجم، ثم توسع استخدامها على تحويل المعطيات النظرية لتخصص ما إلى وسائل ملموسة، فيقال مهندس جغرافي، ومهندس رياضي، ومهندس بصريات (Académie française, 1835: 35).

يؤكد قاموس وبستر الأمريكي هذا الاستخدام الأصلي للفظ المهندس حيث عرفه بأنه عضو مجموعة عسكرية يتولى الأشغال التي تتمثل في تصميم أو بناء هياكل كبرى مثل الطرق والجسور، أو منتجات ونظم جديدة باستخدام طرق علمية^(١).

وعرّف قاموس أكسفورد الهندسة بأنها فرع من فروع العلوم والتكنولوجيا التي تتولى تصميم وبناء واستخدام الآلات والمحركات والهياكل والتعديل والتطوير في مجالات محددة^(٢).

وينبغي أن لا نغفل أنّ التعاملات الاقتصادية كانت على مدار التاريخ البشري جزءًا من العلاقات الاجتماعية (بولاني، ٢٠٠٩م)، لتقادي التنظير خارج التاريخ والواقع المعيش للمجتمعات المسلمة، بما فيها المجتمع النبوي (العمرى، ١٩٩٧م). فالمنتجات المالية ذات قيمة مضافة هي ثمرة علاقات وتبادلات اجتماعية في بيئة محلية لا في مختبر أو معمل يشرف عليه كوكبة من المهندسين الماليين جنبًا إلى جنب مع فقهاء شرعيين متخصصين في المعاملات المالية.

كساد سوق الهندسة المالية في الغرب بعد الأزمة المالية العالمية

بعد أن أشار المؤلف إلى أنّ الهندسة المالية كانت إحدى الأسباب في تأجيج شرارة الأزمات المالية (ص ٣٦)، قرّر أنّ الهندسة المالية الإسلامية تساهم في كسر حلقة التبعية للعالم الغربي (ص ٣٧). وهو طرح يحتاج إلى مراجعة وإعادة نظر استنادًا إلى تطورات البحث العلمي بشأن عدم حيادية التقنية. وقد أكد سامي السويلم في محاضرة نظمها الجمعية المغربية للاقتصاد الإسلامي في عام ٢٠١٤م أنّ الهندسة المالية صارت عنوانًا جذابًا رغم أنّ سوقها كسد في الغرب، ثم لفت الانتباه إلى ضرورة مواكبة التطورات واستيعاب أنّ هناك أزمة عميقة في الهندسة المالية (السويلم، ٢٠١٤م). ولعلّ هذا يفسّر اختياره لعنوان "البحث والتطوير في المنتجات المالية الإسلامية" في محاضراته التي قدمها في الملتقى الأول للتأهيل في المالية الإسلامية الذي نظّمته جامعة الزيتونة (السويلم، ٢٠١٥م).

أصل كلمة الهندسة في المعاجم الفرنسية والإنجليزية

(1) Merriam-Webster Dictionary , <http://www.merriam-webster.com/dictionary/engineering>

(2) Oxford Dictionaries, <http://www.oxforddictionaries.com/definition/english/engineering>

الهندسة المالية موافقة للشرع (ص ٣٢). وهي مقارنة تحتاج إلى مراجعة وإعادة نظر باعتبار أن المسألة تتعدى مجرد "أسلمة المعرفة" أو "السلامة الشرعية"، بالإضافة إلى كون التعريف لا يعطي فكرة عامة عن الهندسة المالية من حيث الوسائل والأهداف، والنشاطات والمؤسسات الحاضنة، والأطراف المستفيدة أو المستهدفة.

يُعرّف قاموس التمويل لِفَرْنِيمَنْ (Vernimmen)^(٦) الهندسة المالية بأنها مجموعة من التقنيات المالية التي تسمح بتحقيق أهداف التمويل، والتقييم، والاستثمار، وإدارة المحافظ بطريقة مثلى للمنشآت والمساهمين والمستثمرين^(٧). وهو ما يبيّن أنّ وظيفة الهندسة المالية لا تنحصر في المصارف كما أشار المؤلف في مواضع عدة من كتابه. على سبيل المثال، نجد أنّ الهندسة المالية الموجهة للمنشآت تشمل خمس مهن أساسية، هي: الاندماج والشراء (mergers and acquisitions)، ورأس المال المستثمر (invested capital)، وتمويل المشاريع (project financing)، والتمويل المهيكل (structured investment)، ونشاطات الأسواق المالية (financial market activities). ويمكن تولي هذه الوظائف في مصارف الأعمال، والمؤسسات المالية، ومكاتب القانون المتعددة الجنسيات، والمجموعات الصناعية الكبرى. ويؤكد هذا التعريف أنّ الهندسة المالية قائمة على التقنية، وأنّ الابتكار المالي ذو طابع تقني

يُستخلص ممّا سبق أنّ الهندسة هي فن تصميم وإنشاء وبناء الأشياء وتنظيمها وتقويمها وفق مبادئ وأسس علمية. فهي في المقام الأول ذات طابع تقني يقوم أساسًا على الرياضيات بفروعها المختلفة، العد والحساب والقياس، ثم ألحقت بها أساليب الحاسوب الإلكتروني من تخزين المعلومات وأداء عمليات سريعة ومحاكاة.

ممّا هو جدير بالملاحظة أنّ اللفظ الفرنسي "ingénierie" استعير من الكلمة الإنجليزية "engineering" التي وجدت لها آثار مكتوبة في عام ١٧٢٠م^(٣)، فأخذت تدريجيًا مكان الكلمة الأصل التي استخدمت في الأدبيات الفرنسية على مدار قرون، وهي: "génie" التي يعود استخدامها إلى عام ١٧٠٨م بمعنى فن التحصين^(٤).

تعريف مصطلح الهندسة المالية

بعد أن ركّز المؤلف في تعريفه لمصطلح الهندسة المالية على كلمتي الهندسة والمال (ص ٢٩-٣٠)، خلص إلى تعريف الهندسة المالية الإسلامية بأنّها: "مجموعة الأنشطة التي تتضمن عمليات التصميم والتطوير والتنفيذ لكل من الأدوات والعمليات المالية المبتكرة، بالإضافة إلى صياغة حلول إبداعية لمشاكل التمويل، وكل ذلك في إطار موجّهات الشرع الحنيف"^(٥)، مع الإشارة أنّه - وفقًا لتعبيره - لا يختلف عن تعريف الهندسة المالية التقليدية إلا بقيد يجعل هذه

(3) Merriam-Webster Dictionary. *Op. cit.*

(4) Centre National des Ressources Textuelles et lexicales, <http://www.cnrtl.fr/etymologie/g%C3%A9nie>
(٥) أشار المؤلف أنّه استعار هذا التعريف من صالح (٢٠٠٢م).

(٦) أشهر قاموس في التمويل للناطقين باللغة الفرنسية.

(7) Vernimmen.net, http://www.lesechos.fr/finance-marches/vernimmen/definition_ingenierie-financiere.html

للتحليل على الأنظمة والقوانين، وهو ما تسبب في الأزمة المالية العالمية (Plihon, 2010).

من أشهر التعريفات المتداولة في أدبيات التمويل والهندسة المالية أن الابتكار هو "إدخال منتج جديد في السوق أو إنتاج منتج موجود، ولكن بطريقة جديدة" (Gowland, 1991: 79). مما يعني أن تطوير المنتجات الموجودة داخل في الابتكار أو بعبارة أخرى أن الابتكار يتضمن تطوير المنتجات. في حين يفرّق جلّ الباحثين في التمويل الإسلامي - بما فيهم المؤلف (ص ٣٩٩) - بين ابتكار العقود وتطوير العقود الموجودة.

وينطبق هذا التعريف على المؤسسات المالية والمنشآت الصناعية على حد سواء. إلا أنه يوجد فرق جوهري بينهما في كيفية إدراك دور التقنية المتعلّقة بإنتاج السلع والخدمات في عملية الابتكار. في المنشآت الصناعية يبدو إدخال تقنية جديدة ابتكارًا بشكل واضح. أما في المؤسسات المالية فإن دور التقنية غامض إلى حد بعيد، لأنّ التغييرات التي يجب إجراؤها على طريقة الإنتاج لإدخال منتج جديد ليست ضخمة (Sobreira, 2004: 116). فيصبح الابتكار في هذه الحالة عملية شكلية بلا مضمون حقيقي، ويحقق المقولة المشهورة: "كل شيء يتغير من أجل أن لا يتغير شيء" (Bontems, 2014).

إنّ الابتكارات المالية ليست بالضرورة نافعة في كل الأحوال، ولا شيئًا مقصودًا لذاته. ممّا يستدعي التفريق بين الابتكار المالي الحقيقي الذي يتضمن منافع اقتصادية، والابتكار الذي يتكون من أدوات مالية تدر أرباحًا كبيرة على أصحابها دون أن تتضمن قيمة

بحت. كما يعضّد أنّ الهندسة المالية تخصص تتداخل فيه حقول معرفية عدّة من أبرزها: الأكتوارية (actuary)^(٨)، والتمويل، والاقتصاد، والقانون، والضريبة (Thomas, 2014)، والعلوم الرياضية والإحصائية والحاسوبية التي أولت أهمية كبرى في السنوات الأخيرة إلى البيانات الضخمة (big data) من جراء اتساع رقعة استخدام الذكاء الاصطناعي (artificial intelligence)، بعد أن ظلّت طيلة عقود تعمل في إطار عالم بلاك وسكولز (Black-Scholes universe). ويبين التعريف أيضًا أنّ الهندسة المالية موضوع كبير بالغ التعقيد لا يمكن الإحاطة به وحصره في بحث أو محاضرة أو كتاب.

تعريف الابتكار المالي

أشار المؤلف أنّ الهندسة المالية تتضمن ثلاثة أنواع من الأنشطة: ابتكار وتطوير أدوات مالية جديدة، وابتكار آليات تمويلية جديدة، وابتكار حلول جديدة للإدارة التمويلية (ص ٣١). لكنّه لم يعرف مفهوم الابتكار - على غرار جلّ الكتابات عن الهندسة المالية - بالرغم من أنّه يشكّل مفتاح فهم الهندسة المالية ومحركها الرئيس (Beder, 2011: 3). والمطلوب هو ضبط استخدام مصطلح الابتكار بحيث لا يأخذ طابعًا معياريًا، ولا يدفع إلى أخذ مخاطر عالية، ولا يُستغل

(٨) الإكتوارية: تخصص يتمثل في تطبيق طرق الاحتمالات والإحصاء في مجال التأمين والتمويل والرعاية الاجتماعية لوصف ونمذجة بعض أحداث المستقبلية لقياس وإدارة المخاطر المرتبطة على سبيل المثال بمدة حياة الإنسان، والتعرض للأمراض، وترددات الكوارث، وحجم الخسائر المادية المرتبطة بها.

- تقليل المخاطر في الأسواق المالية.
- مواجهه المنافسة الشرسة التي يشهدها عالم المال.
- الالتفاف على القوانين والأنظمة التي تفرضها السلطات المالية في مجال الإقراض من خلال تركيبات معقدة تسمح بإخفاء بعض المعلومات أو وضعها في غير مكانها المعتاد.

ويلحق بها في مجال التمويل الإسلامي الالتفاف على أحكام الشريعة الإسلامية من خلال إخراج فني وأسلوب تسويقي يوهم أنّ جواز العقود على انفراد يستلزم جوازها مجتمعة، وهذا يخالف ما قرره المحققون من الأصوليين، "لأن الاستقراء من الشرع - كما قال الشاطبي (٢٠٠٩، ٣: ٤٧٨) - عرف أنّ للاجتماع تأثيراً في أحكام لا تكون حالة الانفراد". ممّا يفسّر نهى الشرع عن الجمع بين بعض العقود مع جواز العقد كل واحد منهما منفرداً. فحكم الجمع يخالف حكم التفريق، كما أشار ابن تيمية (٢٠٠٥، ٢٩: ٤١).

بعد الأزمة المالية العالمية، وجّهت انتقادات لاذعة للابتكار المالي لكونه أفرز أصولاً مالية معقدة لا تمت إلى النشاط الاقتصادي الحقيقي بصلة. والأخطر من ذلك أنّ بعض الابتكارات المالية كتوريق الديون للتخلص من المخاطر المرتبطة بها قد تسببت في إشعال الشرارة الأولى للأزمة في الولايات المتحدة. وهو ما أثار تساؤلات عن الأثر الاجتماعي للابتكار المالي (Schinckus, 2015).

تعدد تطبيقات الهندسة في علم الاقتصاد

من الضروري بمكان عند استعراض تاريخ الهندسة المالية (ص ٣٣-٣٦) الإشارة في بداية الفقرة أنّ مصطلح

اقتصادية مضافة للمجتمع. علاوة على ذلك، إنّ الابتكار المالي يخلق بالضرورة شروط حالة عدم تماثل المعلومة بين المتعاقدين من شأنها أن تؤدي إلى أزمة مالية، وهو ما يوسم أحياناً بالابتكار المالي السام حيث يتم تحويل مخاطر القمار للآخرين عبر تركيبات معقدة (Plender, 2016). لذلك شبه الاقتصادي الفرنسي موريس آلي - الحاصل على جائزة نوبل في الاقتصاد لعام ١٩٨٨م - الأسواق المالية الحديثة بالكازينوهات الكبيرة ونموذج التمويل السائد بتمويل الكازينوهات (Allais, 1998; 2009).

إنّ ما سبق من نقاش يطرح مجموعة من التساؤلات، وهي: ما هو الابتكار الذي نريده؟ ولأي عالم؟ بحيث يكون في خدمة المجتمعات وليس العكس. مما يعطي الأفضلية للابتكار المسؤول المندمج اجتماعياً. وهو ما يوسم في أدبيات الابتكار بـ: "المقاربة القائمة على تحسين ما هو موجود بطريقة تدريجية" (iterative approach) بإحداث قيمة مضافة وفقاً لحاجة المجتمع، إلى أبعد من الحاجة المفتعلة التي تحدثها القوى المؤثرة في الأسواق المالية، وتوهم أنّ الابتكار هو ضرورة لا مفر منها في ظلّ احتدام المنافسة. وهو ما أحدث شعار: "الابتكار أو الزوال" الذي بات مقبولاً منذ عقدين على نطاق واسع (Bellon, 1994)، بعد أن أثار انتقادات حادة (Vexliard, 1984).

إلى أبعد من المهندسين الماليين، يسعى الفاعلون في عالم المال من خلال الابتكار إلى تحقيق أهداف عدّة لعلّ من أبرزها:

- تعظيم الأرباح في أسرع وقت ممكن.

الهندسة له تطبيقات عدّة في عالم الاقتصاد على المستويين الجزئي والكلي، لذلك يتم الحديث عن علم الاقتصاد باعتباره صناعة هندسية (Armatte, 2010)، وما يتفرع عنه من هندسة ضريبية (tax engineering)، وهندسة محاسبية (accounting engineering)، وهندسة مالية (financial engineering)، وهندسة اكتوارية (actuarial engineering)، وهندسة نقدية (monetary engineering) التي برزت في السنوات الأخيرة من خلال سياسة معدّل الفائدة الصفري وضخ كميات هائلة من السيولة النقدية (quantitative easing)، ثم تلتها سياسة معدّل الفائدة السالب التي تبناها كل من البنك المركزي الدنماركي، والأوروبي، والسويدي، والسويسري، والياباني.

خصائص الهندسة المالية الإسلامية

أشار المؤلف إلى أنّ الهندسة المالية الإسلامية تتفق مع الهندسة المالية التقليدية بأنّ كليهما تبتكر وتطوّر أدوات مالية، وتختلفان في أنّ الهندسة المالية الإسلامية ملتزمة بالأحكام الشرعية، خلافاً للهندسة المالية التقليدية التي لا تلتزم بذلك (ص ٣٩٩). كما أشار إلى أنّ أبرز ما يُميّز المنتجات التي تبتكرها الهندسة المالية الإسلامية المصادقية الشرعية، والكفاءة الاقتصادية (ص ٤٠٤). ينبغي تجاوز هذا المسلك التعميمي الذي يقع فيه جُلّ الباحثين في التمويل الإسلامي بغض النظر عن تخصصهم العلمي، وهو يظلّ مجرد فرضية في غياب دراسات ميدانية تثبتتها.

في النهاية أود أن أشير أنّ هذه الملاحظات لا تنقص من قيمة الكتاب والجهد الذي بذله مؤلفه جزاه الله خيراً. ومن الضروري إعداد دراستين مسحيتين، تتناول الأولى منهما أدبيات الهندسة المالية التقليدية لاسيما تلك التي ظهرت بعد الأزمة المالية العالمية، بينما تتناول الثانية أدبيات الهندسة المالية الإسلامية بالعربية والإنجليزية والفرنسية، حتى يتسنى للباحثين مواكبة تطورات البحث العلمي في هذا المجال وتوظيفها في تنمية الحس النقدي في ضوء تطورات فلسفة العلوم وعلم اجتماع المعرفة وتاريخ التقنية إلى أبعد من الثنائيات السائدة: "اقتصاد وفقه"، "تمويل وفقه"، "مهندس مالي ومراقب شرعي".

المراجع

- ابن تيمية، تقي الدين أحمد (٢٠٠٥م). مجموعة الفتاوى، اعتنى بها وخرّج أحاديثها عامر الجزار وأنور الباز، المنصورة: دار الوفاء، الطبعة الثالثة.
- أبو قعقنة، شرين محمد سالم (٢٠١٦م). الهندسة المالية الإسلامية: ضوابطها الشرعية وأسسها الاقتصادية، عمان: دار النفائس.
- الأكاديمية العالمية للبحوث الشرعية (٢٠١١م). النظام المالي الإسلامي: المبادئ والممارسات، ترجمة كرسي سابق لدراسات الأسواق المالية الإسلامية، الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- بولانبي، كارل ([١٩٤٤م] ٢٠٠٩م). التحول الكبير: الأصول السياسية والاقتصادية لزمنا المعاصر، ترجمة من الإنجليزية لمحمد فاضل طبّاخ، بيروت: المنظمة العربية للترجمة.
- السويلم، سامي (٢٠١٤م). الهندسة المالية وتطوير المنتجات الإسلامية، لقاء علمي نظّمته الجمعية المغربية للاقتصاد الإسلامي في ١٦ مايو ٢٠١٤م، <https://www.youtube.com/watch?v=cgwnh7ooVfk>
- السويلم، سامي (٢٠١٥م). البحث والتطوير في المنتجات المالية الإسلامية، الملتقى الأول للتأهيل في المالية الإسلامية، تونس: جامعة الزيتونة، ٢٤-٢٥ يناير ٢٠١٥م، https://www.youtube.com/watch?v=m6_GSYzomw
- الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم (٢٠٠٩م). الموافقات، تحقيق: أبو عبدة مشهور بن حسن آل سليمان، الدمام - القاهرة: دار ابن القيم - دار ابن عفان.
- صالح، فتح الرحمن علي محمد (٢٠٠٢م). أدوات سوق النقد الإسلامية: مدخل للهندسة المالية الإسلامية، مجلة المصرفي، بنك السودان المركزي، العدد ٢٦، ديسمبر.
- العمرى، أكرم ضياء (١٩٩٧م). الحياة الاقتصادية والاجتماعية في عصر النبوة، الرياض: دار كنوز إشبيلية.
- العنزي، مرضي مشوح (٢٠١٥م). فقه الهندسة المالية الإسلامية: دراسة تأصيلية تطبيقية، الرياض: دار كنوز إشبيلية.
- يوسف، جميل ثاجب (٢٠١٦م). استخدام الهندسة المالية الإسلامية كأداة لتقويم إدارة مخاطر التمويل، أطروحة دكتوراه بالمعهد العالي للدراسات المالية والمحاسبية، جامعة بغداد.

References

- Abbas, Shaher** (2015). Islamic financial engineering: a critical investigation into product development process in the Islamic financial industry, *Ph.D. thesis*, Durham University.
- Abu Qanonah, Shireen Mohammed Salem** (2016). *Islamic financial engineering*, Amman: Dar al-Nafais.
- Al-Anazi, Murdi** (2015). *Islamic Jurisprudence of Financial Engineering*, Riyadh: Dar Kunuz Ishbiliya.
- Allais, Maurice** (1998). La crise mondiale d'aujourd'hui: Pour de profondes réformes des institutions financières et monétaires, *Le Figaro*, 12, 19 et 26 octobre.
- Allais, Maurice** (2009). Lettre aux français: "Contre les tabous indiscutés", *Marianne*, 5 décembre.
- Al-Suwailem, Sami** (2014). Financial engineering and the development of Islamic products, seminar organized by the Moroccan Association for Islamic Economics, May 16, <https://www.youtube.com/watch?v=cgwnh7ooVfk>
- Al-Suwailem, Sami** (2015). Research and development in Islamic financial products, the first forum in Islamic Finance, University of Ez-Zitouna, 24 to 25 January, https://www.youtube.com/watch?v=m6_-GSYzomw
- Armatte, Michel** (2010). *La science économique comme ingénierie: quantification et modélisation*, Paris: Presses des Mines.
- Askari, Hossein, Iqbal, Zamir and Mirakhor, Abbas** (2010). *Globalization and Islamic Finance: Convergence, Prospects and Challenges*, Sinagapore: John Wiley & Sons.
- Beder, Tanya** (2011). The History of Financial Engineering from Inception to Today, in Tanya Beder and Cara M. Marshall (ed.). *Financial Engineering: The Evolution of a Profession*, Hoboken: John Wiley & Sons, 2011, pp. 3-28.
- Bellon, Bertrand** (1994). *Innover ou disparaître*, Paris: Economica.
- Bontems, Vincent** (2014). What does Innovation stand for? Review of a watchword in research policies, *Journal of Innovation Economics & Management*, 3/2014, No. 15, pp. 39-57.
- Gowland, David** (1991). Financial Innovation in Theory and Practice, in Christopher J. Green and David T. Llewellyn (eds.), *Surveys in Monetary Economics*, Oxford: Basil Blackwell, Vol. 2, p. 79-101.
- Ibn Taymiyyah, Taqi al-Din Ahmad** (2005). *Compilation of Juristic Judgments for Muslims*, al-Mansoura, Third Edition.
- Iqbal, Zamir** (1999). Financial engineering in Islamic finance, *Thunderbird International Business Review*, Vol. 41, Issue 4-5, July - October, pp. 541-559.
- ISRA** (2011). *Islamic Financial System: Principles & Operations*, Riyadh: University of Imam Muhammad bin Saud Islamic University.
- Jarrige, François** (2014). *Technocritiques*, Paris: La Découverte.
- Jarrige, François** (2015). « Une technique n'est jamais neutre », *Usbek & Rika*, 22 avril.
- L'Académie française** (1835). *Dictionnaire de L'Académie française*, Paris, 6^e édition.
- Omari, Akram Zia** (1997). *Economic and social Life in the Era of Prophecy*, Riyadh: Dar Kunuz Ishbiliya.
- Plender, John** (2016). When financial innovation turns toxic, *Financial Times*, February 21.
- Plihon, Dominique** (2010). *L'ingénierie financière et la crise: le contournement des règles par l'innovation*, Maison des Sciences de l'Homme Paris Nord, 30 mars.
- Polanyi, Karl** ([1944] 2009). *The Great Transformation*, translated from English, Beirut: Arab Organization for Translation.
- Reinhart, Carmen M. and Rogoff, Kenneth S** (2010). *Cette fois, c'est différent: Huit siècles de folie financière*, traduit de l'anglais par Michel Le Séac'h, Paris : Pearson Education France.
- Saleh, Fath-Rahman** (2002). Islamic Market Tools: Introduction to the Islamic financial Engineering, *Journal of Banking*, the Central Bank of Sudan, No. 26, December.
- Schinckus, Christophe** (2015). Financial innovation as a potential force for a positive social change: The challenging future of social impact bonds, *Research in International Business and Finance*, Available online 26 November 2015.
- Shatibi, Abu Ishaq Ibrahim** (2009). *The Reconciliation of the Fundamentals of Islamic Law*, Dammam - Cairo: Dar Ibn Qayyim - Dar Ibn Affan.
- Sobreira, Rogério** (2004). Innovation financière et investissement. Le cas de la titrisation, *Innovations*, 2004/1, No. 19, p. 115-129.
- Thomas, Philippe** (2014). *L'ingénierie financière*, Paris: Editions Revue Banque.
- Ubaidullah, Muhammad** (1998). Financial Engineering with Islamic Options, *Islamic Economic Studies*, Vol. 6, No. 1, November, pp. 53-103.
- Vexliard, Alexandre** (1984). *Innover ou disparaître, Cahiers de la Méditerranée*, Vol. 8, No. 1, pp. 15-26.

Yusuf, Thajib (2016). Islamic Financial Engineering as a Tool for Assessment of the Financial Risk Management, Ph.D. thesis at the Higher Institute of

Finance and Accounting Studies, University of Baghdad.

Book Review Jurisprudence of the Islamic Financial Engineering: Foundation and Practical Study

Riyadh: Dar Kunuz Eshbilia, 2015

Reviewed by Dr. Abderrazak Said Belabes

Abstract: Financial engineering is considered one of the hottest topics that attract the attention of researchers in Islamic finance. In this context, Murdi al-Anzi prepared a Ph.D. thesis at Qassim University in order to establish a foundation for the topic according to Islamic law on the basis of some products used in the Islamic financial industry. The book review concludes several results, notably: the awareness of the non-neutrality of means, the rigor in the use of the concept of innovation, and overcoming the elitist view which holds that financial solutions are the prerogative of financial engineers. The book review recommends the preparation of two survey studies: The developments concerning the research on financial engineering in the light of the financial crisis, and the writings about Islamic financial engineering in English and French.

Keywords: Islamic finance, financial engineering, innovation

JEL Classification: K12, O31, Y3, Z12

د. عبدالرزاق سعيد بلعباس

باحث بمعهد الاقتصاد الإسلامي، جامعة الملك عبدالعزيز، جدة؛ حاصل على شهادة مهندس في الإلكترونيك، وماجستير في القياس الاقتصادي، ودكتوراه في التحليل والسياسة الاقتصادية من معهد الدراسات العليا في العلوم الاجتماعية بباريس، وعضو الفريق البحثي في التمويل الإسلامي بجامعة ستراسبورغ الفرنسية. من أبحاثه الحديثة المنشورة في مجلات علمية محكمة: "التفاعل بين التمويل وعلوم الخلايا العصبية من منظور إسلامي إلى أبعد من الدماغ" (٢٠١٥م)؛ "سياسة معدّل الفائدة السالب وأثرها على نظرية التفضيل الزمني" (٢٠١٦م)؛ "الخطاب المقاصدي لابن عاشور عن المال: تأملات جديدة" (٢٠١٦م)؛ "الاتجاهات البحثية عن الزكاة في الأدبيات الغربية" (٢٠١٦م)؛ "تظرات في مفهوم المخاطرة في ضوء الأدبيات العربية والإسلامية الكلاسيكية" (٢٠١٧م). البريد الإلكتروني: abelabes@kau.edu.sa

